## هامان[1]

وزير فرعون الأول، ورد ذكره فى القرآن فى: (القصص: ٦، ٨، ٣٨، والعنكبوت: ٣٩، وغافر: ٢٤، ٣٦).

وهامان من أعوان فرعون المقرّبين، وكان بطانة سوء له، وقد كله فرعون أن يبنى له صرحاً عاليا يتجه إلى السماء صعداً حتى ينالها ويطّلع إلى إله موسى ليحاربه، ﴿وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلاَّ فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [غافر].

وفى التوراة: هامان أحد شخصيات سفر «أستير». كان وزيراً للملك الفارس «أحشويرش» أراد إفناء اليهود، وكاد أن ينجح مسعاه، لولا تدخل «أستير» التى أنقذت شعبها وتسببت بإعدام هامان.

### الآيات الواردة فى ذكر هامان:

قوله تعالى: ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [القصص].

وقوله تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا

---

(١) تفسير القرطبى (١٣/ ٢٦٢)، ط. دار الحديث ـ القاهرة، ومعجم الحضارات السامية، هنرى س. عبّودى، ص ٨٨٠، ومعجم الألفاظ والأعلام القرآنية، ص ٥٥٧.

إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ (٨) ﴾ [القصص].

وقوله تعالى: ﴿ فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٣٨) ﴾ [القصص].

وقوله تعالى: ﴿ وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ (٣٩) ﴾ [العنكبوت].

وقوله تعالى: ﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٢٤) ﴾ [غافر].

وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ (٣٦) ﴾ [غافر].

* * *

# هود[1]

هو: هود بن أرفخشد بن سام بن نوح ـ عليه السلام ـ ، وقيل: إن هوداً هو عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح، وكان من قبيلة يُقال لها: عاد بن عوص بن سام بن نوح ـ وكانوا عرباً يسكنون الأحقاف ـ وهى جبال الرمل ـ وكانت باليمن بين عُمَان وحضرموت بأرض مطلة على البحر يُقال لها: «الشحر»، واسم واديهم «مغيث».

ويُقال: إن هوداً أول من تكلَّم بالعربية، وكان أشبه الناس بآدم ـ عليه السلام ـ ، وقال ابن مسعود: كان رجلاً جَلْداً.

وقوم سيدنا هود، هم من العرب العاربة التى كانت قبل سيدنا إسماعيل ـ عليهما السلام ـ وعاد: هم أول من عبد الأصنام بعد الطوفان، وكانت أصنامهم ثلاثة: (صداء، وصمود، والهباء).

وكان هود من أوسط قومه نسباً، وأصبحهم وجهاً، فدعاهم إلى عبادة الله وحده، وألا يظلم بعضهم بعضاً،

---

(١) تفسير القرطبى (٧/٢٢٨)، ط. دار الحديث ـ القاهرة، وقصص الأنبياء، لابن كثير، تحقيق الرشيدى، ص ٨٥، ٨٦، دار العقيدة، ومعجم الألفاظ والأعلام القرآنية، لمحمد إسماعيل إبراهيم، ص ٥٥٨، ٥٥٩، والإتقان فى علوم القرآن، للسيوطى (٤/٦٢).

ولكنهم أبوا وعتوا وكذّبوه وضربوه حتى أسالوا الدماء منه، وقالوا له: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾ [الأعراف: ٦٦]، فخرج من بينهم ودعا الله أن يبتليهم بالقحط والجدب، فأمسك الله عنهم المطر، فهلك الحرث والأنعام.

وبعد ذلك، عاد إليهم يعظهم ويذكرهم، لعل الله أن يرفع عنهم ما نزل من البلاء، ولكن قلوبهم كانت كالحجارة أو أشد قسوة، وقالوا له فى تحدٍّ وعناد: فأتنا بما تعدنا من العذاب، فأرسل الله عليهم ريحاً عاصفاً فلما رأوه قالوا: ﴿قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا﴾ [الأحقاف: ٢٤]، فقال لهم هود: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾﴾ [الأحقاف].

واستمرت الريح العقيم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً، فأهلكتهم وأبادتهم.

وورد ذكر هود ـ عليه السلام ـ فى القرآن فى: (الأعراف: ٦٥، هود: ٥٠، ٥٣، ٥٨، ٦٠، ٨٩، والشعراء: ١٢٤).

**الآيات الواردة فى ذكر هود ـ عليه السلام ـ:**

قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الأعراف].

وقوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [هود].

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي

آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (٥٣) ﴾ [هود].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٥٨) ﴾ [هود].

وقوله تعالى: ﴿ وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ (٦٠) ﴾ [هود].

وقوله تعالى: ﴿ وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ (٨٩) ﴾ [هود].

وقوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤) ﴾ [الشعراء].

* * *

## وَدٌّ[1]

**وَدٌّ لغة:** فى وَدَ اسم صنم كان لقوم نوح ـ عليه السلام ـ ، وكان لقريش صنم يدعونه وُدًّا، والضم قراءة نافع والأكثر على الفتح يذكر فيه.

وكان بنو وبرة ـ وقيل: كليب ـ بدومة الجندل يعبدون وُدًّا، وكانت سدانته لبنى الفرافصة بن الأحوص الكلبيين.

والأصل فى هذه الأصنام: أنها لقوم صالحين ماتوا فى شهر، فجزع عليهم الناس، فقال رجل من بنى قابل: يا قوم، هل لكم أن أعمل لكم خمسة أصنام على صورهم غير أنى لا أقدر أن أجعل فيها أرواحاً؟ قالوا: نعم. فنحت لهم خمسة أصنام على صورهم، فكان الرجل يأتى أخاه وعمه وابن عمه فيعظمه ويسعى حوله حتى ذهب ذلك القرن الأول.

واشتد التعظيم قرناً بعد قرن، ومع طول البعد والعهد، قال الآخرين: ما عظَّمَ أوّلُونا هؤلاء إلا وهم يرجون شفاعتهم عند الله، فعبدوهم وعَظُمَ أمرهم واشتدَّ كفرهم، فبعث الله لهم إدريس ـ عليه السلام ـ ينهاهم عن ذلك، فكذَّبوه، فرفعه الله مكاناً عليًّا.

---

(١) تفسير القرطبى (١٨/٢٩٧)، ومعجم البلدان، لياقوت الحموى (٥/٣٦٧، ٣٦٨)، ومعجم الألفاظ والأعلام القرآنية، ص ٥٦٨، والإتقان فى علوم القرآن، للسيوطى (٤/٧٢).

ولم يزل أمرهم يشتد فيهم، حتى أرسل الله لهم نوحاً ـ عليه السلام ـ . وحدث الطوفان بعد ازدياد العناد والإصرار على الكفر، وقذفت المياه هذه الأصنام إلى أرض جدة، ونضب الماء، وبقيت على شطّ جدة، فسفت الريح عليها التراب حتى وارتها، حتى جلبها عمرو بن لُحيٍّ لقبائل العرب.

وظلت العرب تعبد هذه الأصنام، حتى جاء الإسلام وأرسل الرسول ﷺ خالد بن الوليد وحارب أهل دومة الجندل وهدمه وكسّره.

وورد ذكر وَدٌّ مرة واحدة في القرآن في سورة نوح في قوله تعالى: ﴿ **وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا** ﴾ الآية ٢٣.

* * *

# يَثْرِبُ[1]

بفتح أوله، وسكون ثانيه، وكسر الراء، وباء موحدة: قال أبو القاسم الزجاجي: يثرب مدينة رسول الله ﷺ، سميت بذلك؛ لأن أول من سكنها عند التفرق يثرب بن قانة بن مهلائيل بن إرم بن عبيل بن عوص بن إرم بن سام بن نوح ـ عليه السلام ـ ، فلما نزلها رسول الله ﷺ سماها طيبة وطابة؛ كراهية للتثريب، وسميت مدينة الرسول ﷺ؛ لهجرته لها ونزوله إياها.

ويُقال: أصل التثريب: الإفساد، وفي الحديث: «**إذا زنت أمَة أحدكم فليجلدها ولا يثرب**»؛ أي: لا يعير بالزنا.

وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ : من قال للمدينة: يثرب، فليستغفر الله ثلاثاً إنَّما هي طيبة.

وقال صاحب معجم البلدان: إن طول المدينة من جهة المغرب ستون درجة ونصف، وعرضها عشرون درجة ونصف، وهي في الإقليم الثاني.

أما قدرها: فهي في مقدار نصف مكة، وهي في حرة

---

(١) تفسير القرطبي (١/ ١٤٥، ١٤٦)، ومعجم البلدان، لياقوت الحموي(٥/ ٨٢ ـ ٨٨)، ومعجم الألفاظ والأعلام القرآنية، ص ٥٩٢، والإتقان في علوم القرآن، للسيوطي (٤/ ٧٣).

سبخة الأرض، ولها نخيل كثيرة ومياه.

وللمدينة سور والمسجد في نحو وسطها. وقبر النبي ﷺ في شرقي المسجد، وهو بيت مرتفع ليس بينه و بين سقف المسجد إلا فرجة، وهو مسدود لا باب فيه، وفيه قبر النبي ﷺ.

و«أُحد» جبل خارج المدينة في شمالها، وهو أقرب الجبال إليها مقدار فرسخين. ووادي العقيق فيما بينها وبين الفَرْع.

روى أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من صَبَر على أوار المدينة وحرّها كانت له يوم القيامة شفيعاً شهيداً**».

وهي أحب البلاد إلى الله، وقال ﷺ: «**من استطاع منكم أن يموت في المدينة فليفعل، فإنه من مات بها كنت له شهيداً ـ أو شفيعاً ـ يوم القيامة**».

ووردت مرة واحدة في القرآن الكريم في سورة الأحزاب ﴿**وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا**﴾ الآية (١٣).

* * *

# يحيى عليه السلام[1]

هو: يحيى بن زكريا ـ عليهما السلام ـ وقد سبق ذكر نسبة أبيه زكريا. ويحيى أوَّل من سُمِّيَ يحيى، بنصّ القرآن، ولد قبل عيسى بستة أشهر، ونبىء صغيراً، وقتل مظلوماً.

ويحيى اسم عربى، وقال الكرمانى: سمِّيَ يحيى لأنَّ الله أحياه بالإيمان وقيل: لأنه حَيَّ به رحم أمِّه، وقيل: لأنه استشهد، والشهداء أحياء، وقيل: معناه «يموت» كالمفازة للمهلكة، والسليم للديغ.

وولد يحيى ـ عليه السلام ـ بدعوة من أبيه زكريا الذى كان قد بلغ من الكِبَر عِتِيًّا؛ أى: بلغ بسبب كبر سنة، حالة لا سبيل إلى إصلاحها ومداومتها.

كانت امرأته عاقراً، وخشى على قومه بنى إسرائيل أن يبتلوا بحكم مواليه من بعدهم وهم لا يعلمون بالشريعة ولا يتمسكون بها، فدعا ربه أن يرزقه ذرية طيبة، ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا

---

(١) تفسير القرطبى (١١/ ٨٨ ـ ٩٢)، ط. دار الحديث ـ القاهرة، ومعجم الألفاظ والأعلام القرآنية، ص ٥٩٣، وقصص الأنبياء، لابن كثير، تحقيق الرشيدى، ص ٤٥٢ ـ ٤٦٣، والإتقان فى علوم القرآن، للسيوطى (٤/ ٦٦).

وَحَصُوراً وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ (٣٩) ﴾ [آل عمران].

وحملت زوجته بيحيى، ولما شبّ، نشأ على أكمل أوصاف التقى والصلاح، صار نبيًّا فى سن الثلاثين من عمره، وكان يدعو الناس إلى التوبة من الذنوب، وكان يعمدهم؛ أى: يغسلهم فى نهر الأردن؛ تطهيراً لهم من خطاياهم.

وقد اعتمد منه المسيح ولهذا يسمى «يوحنا المعمدان»، وقتل بيد حاكم فلسطين الذى كان يريد أن يتزوج ببعض محارمه، فنهاه يحيى عن ذلك، فبقى فى نفسها منه، فلما كان بينها وبين الملك ما يحب منها، استوهبت منه دم يحيى، فوهبه لها وبعث لها برأس يحيى ودمه فى طست. وقيل: إنها هلكت من فورها.

وورد اسم يحيى - عليه السلام - فى القرآن الكريم فى (آل عمران: ٣٩، والأنعام: ٨٥، ومريم: ٧، ١٢، والأنبياء: ٩٠).

## الآيات الواردة فى ذكر يحيى - عليه السلام -:

قوله تعالى: ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ (٣٩) ﴾ [آل عمران].

وقوله تعالى: ﴿ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ (٨٥) ﴾ [الأنعام].

وقوله تعالى: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧﴾ [مريم].

وقوله تعالى: ﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ۝١٢﴾ [مريم].

وقوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ۝٩٠﴾ [الأنبياء: ٩٠].

* * *

# يعقوب[1]

يعقوب هو الابن الثانى لإسحاق ـ عليه السلام ـ من زوجته رفقة بنت عمه بتوئيل بن ناحور، وكان الابن الأول هو: عيسو.

والواقع: أن يعقوب وعيسو توأمان وُلِدا فى بطن واحدة، ولكن عيسو نزل إلى الدنيا قبل أخيه يعقوب، وكان هذا فى زمنهم يعتبر سبقاً له أهمية؛ إذ يعتبر أول سابق إلى الدنيا بمثابة الابن البكر الذى يستحق امتيازات هذا السبق فى الميراث وغيره.

وكانت طبيعة الأخوين مختلفتين، فعيسو شب صياداً ذا مقدرة على الجلاَد والعمل. أما يعقوب، فكان وادعاً هادئاً، وتوزع هوى الأبوين بينهما، فكان هوى الوالد إسحاق مع ابنه عيسو الذى هو البكر والذى يستحق دعوة أبيه كما هو الْعُرْف، وكان عطف الأم رفقة على يعقوب لوداعته وهدوئه.

وحدث ذات يوم أن عاد عيسو من جولات الصيد دون أن يظفر بشىء، بينما كان أخوه يعقوب قد هيَّأ لنفسه طعاماً يُقال

---

(١) تفسير القرطبى (٢/ ١٤٠، ١٤١)، ط. دار الحديث ـ القاهرة، وقصص الأنبياء، لابن كثير، تحقيق الرشيدى، ص ١٩١ ـ ٢١٦، ومعجم الألفاظ والأعلام القرآنية، لمحمد إسماعيل إبراهيم، ص ٥٩٤، ومعجم الحضارات السامية، هنرى س. عبّودى، ص ٩١٥، ٩١٦.

إنه من العدس، فأراد عيسو أن يأكل مع أخيه، لكنه أبى إلا إذا نزل له عن حق «البكورية» ففعل.

ولما كبر الأب «إسحاق» وأراد أن يدعو لولده عيسو ويمنحه البركة، طلب إلى ابنه أن يصطاد صيداً ويعده كطعام حتى إذا أكلا منه خصه بدعواته.

وسمعت الأم بهذا، وهواها ـ كما قيل ـ مع الابن الوادع يعقوب. فآثرت أن تكون له البركة، فأمرته أن يهيء طعاماً ويقرّبه من والده موهماً إياه أنه عيسو، ويحصل على بركته.

وكما روى، فعل يعقوب ما أمرته به أمه، وقرَّب الطعام من والده الذى أعجزته الشيخوخة عن التفريق بينها، فأكل ودعا ليعقوب ظناً أنه عيسو.

فلما عاد عيسو وكشف الأمر، أسرَّها فى نفسه لأخيه، فخشيت الأم على يعقوب فأمرته أن يرحل إلى خاله، فرحل إليه وأقام عنده يخدمه عشر سنين على أن يزوجه ابنته «راحيل» التى أصبحت ـ فيما بعد ـ أم يوسف ـ عليه السلام ـ.

ولكن خاله أدخله على أختها «ليئة» التى لم يكن يريدها، فلما عرف الأمر، قال له خاله: إن شئت «راحيل» فاخدمنى عشر سنوات أخرى، ففعل، وتزوجها، كما كانت شرائعهم تسمح. ثم تزوج جاريتيهما «زلفا» و «بلها».

وعاش يعقوب حتى رأى ابنه يوسف ـ عليه السلام ـ. وقد مكن

الله له فى أرض مصر. فوفد عليه فيها وأقام بها عزيزاً كريماً. حوالى سبع عشرة سنة، وبارك ابنى يوسف (إفرايم ومنسى) ودعا لهما، وجعلهما صاحبى نصيبين ـ كأعمامهما من أولاده هو ـ فى أرض فلسطين التى كان يعيش فيها بنو إسرائيل.

ومات يعقوب بعد ما أوصى أن يدفن عند أبيه وجدّه، فأمر يوسف الأطباء بتحنيطه وحمل جثمانه إلى فلسطين؛ تنفيذاً للوصية.

وكان ليعقوب ـ عليه السلام ـ اثنا عشر ولداً ذكراً، وإليهم تنسب أسباط بنى إسرائيل كلهم، وكان أشرفهم وأجلهم وأعظمهم يوسف ـ عليه السلام ـ.

وذهب بعض العلماء: إلى أنه لم يكن فيهم نبى غيره، وباقى إخوته لم يوح إليهم، وابيضت عينا يعقوب ـ عليه السلام ـ لما فقد يوسف، ثم ارتدّ بصيراً، ودخل مصر وآواه يوسف إلى العرش. وكان عمر يعقوب ـ عليه السلام ـ يوم دخل مصر: مائة وثلاثين سنة، وأقام بها سبع عشرة سنة، فكان جميع عمره مائة وأربعين سنة.

## الآيات الواردة فى ذكر يعقوب ـ عليه السلام ـ:

قوله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِى

قالُوا نعْبُدُ إلهك وإله آبائك إبْراهيم وإسْماعيل وإسْحاق إلهًا واحدًا ونحْنُ لهُ مُسْلمُون (١٣٣) ﴾ [البقرة].

وقوله تعالى: ﴿ قُولُوا آمنَّا باللَّه وما أُنزلَ إلَيْنا وما أُنزلَ إلَىٰ إبْراهيم وإسْماعيلَ وإسْحاق ويعْقُوب ﴾ [البقرة: ١٣٦].

وقوله تعالى: ﴿ أمْ تقُولُون إنَّ إبْراهيمَ وإسْماعيلَ وإسْحاقَ ويعْقُوبَ ﴾ [البقرة: ١٤١].

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ آمنَّا باللَّه وما أُنزلَ علَيْنا وما أُنزلَ علَىٰ إبْراهيم وإسْماعيل وإسْحاقَ ويعْقُوبَ ﴾ [آل عمران: ٨٤].

وقوله تعالى: ﴿ إنَّا أوْحيْنا إلَيْكَ كما أوْحيْنا إلَىٰ نُوحٍ والنَّبيِّينَ منْ بعْدهِ وأوْحيْنا إلَىٰ إبْراهيمَ وإسْماعيلَ وإسْحاقَ ويعْقُوبَ والأسْباط وعيسَىٰ وأيُّوبَ ويُونسَ وهارُونَ وسُلَيْمانَ وآتَيْنا داوُودَ زبُورًا (١٦٣) ﴾ [النساء].

وقوله تعالى: ﴿ ووَهبْنا لهُ إسْحاقَ ويعْقُوبَ ﴾ [الأنعام: ٨٤].

وقوله تعالى: ﴿ وامْرأتُهُ قائمةٌ فضحكتْ فبشَّرْناها بإسْحاقَ ومنْ وراء إسْحاقَ يعْقُوبَ (٧١) ﴾ [هود].

وقوله تعالى: ﴿ وكذلكَ يجْتبيكَ ربُّكَ ويُعلِّمُكَ منْ تأْويلِ الأحاديثِ ويُتمُّ نعْمتهُ علَيْكَ وعلَىٰ آلِ يعْقُوبَ كما أتمَّها علَىٰ أبوَيْكَ منْ قبْلُ ﴾ [يوسف: ٦].

وقوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [يوسف: ٣٨].

وقوله تعالى: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ [مريم: ٦].

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا (٤٩)﴾ [مريم].

وقوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ (٧٢)﴾ [الأنبياء].

وقوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [العنكبوت].

وقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ (٤٥)﴾ [ص: ٤٥].

* * *

## يعوق ونسرا[1]

يعوق: اسم صنم كان لهمدان وخولان، وكان فى أرْحب، ويعوق من الأصنام الخمسة التى كانت لقوم نوح - عليه السلام -، وأخذها عمرو بن لُحَىٍّ من ساحل جدة، وأعطاها لمن أجابه إلى عبادتها فأجابته إلى عبادتها همدان، فدفع إلى مالك ابن مرثد بن جشم بن حاشد بن جشم بن خيوان بن نوف بن همدان.

ويعوق كان بقرية يُقال لها: «خيوان» من صنعاء على ليلتين مما يلى مكة، وكان يعوق على صورة فرس.

وأمَّا «نسرا»: فكان لذى الكلاع من حِمْيَر، وكان على صورة نسر من الطير، وقصته كقصة «يغوث»، و«نسرا».

وبعد ذلك، تُرك عبادة هذه الأصنام بتهود عبَّادها أيام ذى نواس.

### الآيات الوارد فيها ذكر يعوق ونسرا:

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (٢٣)﴾ [نوح].

* * *

(١) تفسير القرطبى (١٨/ ٢٩٦، ٢٩٧)، ومعجم البلدان، لياقوت الحموى (٥/ ٤٣٨)، ومعجم الألفاظ والأعلام القرآنية، ص ٤٩٧، والإتقان فى علوم القرآن، للسيوطى (٤/ ٧٢).

## يَغُوثَ[1]

آخره ثاء مثلثة: اسم صنم، وهو من غُثْتُ الرجل أغوثه من الغَوْث؛ أى: أغثته؛ أى: تُغيث كأنهم سموها يعوق ويغوث أن يغيث مرة ويعوق أخرى، من أصنام نوح الخمسة المذكورة فى القرآن، أخذها عمرو بن لُحَىّ من ساحل جُدَّة، وفرَّقها فيمن أجابه من العرب إلى عبادتها، فكان ممن أجابه إلى عبادتها: مذحج، فدفع إلى أنعم بن عمرو المرارى «يغوث»، وكان بأكمة باليمن يُقال لها: «مذحج» يعبده مذحج ومن والاها.

ونشبت حرب بين بنى الحارث وبين مذحج، وحُمل «يغوث» ووضع فى بنى الحارث، وكانت بينهم وقعة «الرَّزْم» فى اليوم الذى أوقع النبى ﷺ بقريش فى بدر فهزمت بنو الحارث قبيلة مراد هزيمة قبيحة وبقى «يغوث» فى بنى الحارث.

وقيل: إنَّ يغوث كان منصوباً على أكمة مذحج، وبها سميت القبائل مراد وطىء والحارث بن كعب، وسعد العشيرة

---

(١) تفسير القرطبى (١٨/٢٩٦)، ط. دار الحديث ـ القاهرة، ومعجم البلدان، لياقوت الحموى (٥/٤٣٨، ٤٣٩)، ومعجم الألفاظ والأعلام القرآنية، لمحمد إسماعيل إبراهيم، ص ٥٩٤، والإتقان فى علوم القرآن، للسيوطى (٤/٧٢)، ط. مكتبة التراث.

مذحجاً؛ كأنهم تحالفوا عندها، وهذا قول غريب، لكن المشهور: أن الأكمة اسمها مذحج؛ لأنهم ولدوا عندها فسُمُّوا بها.

ويُقال: إن عابدى «يعوق» و«يغوث» قد تخلُّوا عن عبادتها إلى الدخول فى اليهودية أيام تهود «ذو نواس» ملك حِميَر باليمن.

وورد اسم «يغوث» في القرآن، مرة واحدة فى سورة نوح: ﴿**وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا** (٢٣)﴾.

* * *

## يوسف[1]

روى فى صحيح البخارى عن أبى هريرة ـ ﷺ ـ مرفوعاً: **«إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم: يوسف ابن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم»**.

اسمه أعجمى لا اشتقاق له.

ورد ذكره فى القرآن فى (الأنعام: ٨٤، ويوسف: ٤، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٧، ٢١، ٢٩، ٤٦، ٥١، ٥٦، ٥٨، ٦٩، ٧٦، ٧٧، ٨٠، ٨٤، ٨٥، ٨٧، ٨٩، ٩٠، ٩٤، ٩٩، وغافر: ٣٤).

وفى «المستدرك» عن الحسن: أن يوسف أُلقى فى الجبّ، وهو ابن اثنتى عشرة سنة، ولقى أباه بعد الثمانين، وتوفى وله مائة وعشرون سنة، وأمه «راحيل» زوجة يعقوب وابنة خال يعقوب، وله شقيق واحد هو: «بنيامين»، وله عشرة من زوجتى أبيه «زلفى» و«بلها».

---

(١) تفسير القرطبى (٩/ ١٢٥)، ط. دار الحديث ـ القاهرة، والإتقان فى علوم القرآن، للسيوطى (٤/ ٦١)، ط. مكتبة التراث، ومعجم الألفاظ والأعلام القرآنية، لمحمد إسماعيل إبراهيم، ص ٥٩٦، ٥٩٧، قصص الأنبياء، لابن كثير، تحقيق الرشيدى، ص ١٨٥ ـ ٢١٦، ومعجم الحضارات السامية، هنرى س. عبّودى، ص ٩٣٧، جروس. برس.

وعاش يوسف وبنيامين من بعد وفاة أمهما «راحيل» مع أبيهما يعقوب؛ ولذا كان شديد العطف عليهما، فأثار ذلك غيرة «إخوته» لأبيه، ولما قص رؤياه على أبيه، حقد عليه إخوته وألقوه فى الجبّ، وآتاه الله النبوة وهو بمصر، بعد أن دخلها صغيراً مع القافلة التى أخرجته من الجبّ وباعته لعزيز مصر.

وقصّ علينا القرآن: أن سيرة يوسف ـ عليه السلام ـ منذ صغره وهو ناشىء، يكيد له إخوته، ثم وهو ربيب فى بيت عزيز مصر، ثم وهو سجين، وقد أظهر الله ـ سبحانه ـ طهارته وبراءته، وأخيراً وهو رسول يبلغ رسالة ربه، ومدبّر لأمور مصر يتولى التصرف فى مواردها وخزائنها.

وقد جاء له إخوته بعد ذلك وعفا عنهم، وبعد ذلك جاء آل يعقوب وسكنوا مصر وعاشوا بها يعملون فى خدمة فرعون وقومه، ولم يخرجوا منها إلا فى عهد موسى ـ عليه السلام ـ إلى أرض سيناء.

**وملخص القصة ـ كما أوردها القرآن الكريم ـ:**

أن يوسف ـ عليه السلام ـ كان منذ بكورته، رائع الْحُسْن، فتان الصبا، وكان أثيراً لدى أبيه مخصوص بحبه ولا سيما بعد وفاة أمه.. الأمر الذى أثار فى نفوس إخوته حقداً عليه وغيرة منه، فائتمروا به ليخلوا لهم الجو وينفردوا وحدهم بمحبة أبيهم، وبدأت الرحلة الأولى من التدبير حين جاءوا أباهم يقولون: ﴿ **يا أَبَانا ما لَك لا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وإِنَّا لَه لَناصِحُون ﴿١١﴾ أَرْسِلْه معنا**

غداً يرتع ويلعب وإنا له لحافظون (١٢) ﴾ [يوسف].

وأحسَّ الأب بفطرته الصافية، ثم بما يلحظه من غيرة وتنافس: أن وراء هذه الدعوة أمراً مخوفاً، فقال لهم: ﴿ قال إني ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون (١٣) ﴾ [يوسف].

ولكى يطمئن المتآمرون أباهم، حاولوا أن يغرسوا فى نفسه الثقة بأنهم يحافظون عليه، ولن يدعوه لأى خطر مهما يكن مصدره، بدعوى أن حدوث مثل ذلك مما يصبح عاراً على هذه المجموعة الكبيرة من الإخوة الرجال، فقالوا: ﴿ لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذاً لخاسرون (١٤) ﴾ [يوسف].

وكان **المشهد الثانى** من القصة بعيداً عن الأب والبيت والقرية كلها.. بعيداً فى جوف الصحراء على دروب غير مطروقة؛ حيث انفرد المؤمنون بيوسف، فسخروا منه ما شاءوا وتقول التوراة: أنهم لم يأخذوه، بل أن والده كان قد أرسله إليهم ليأتيه ببعض أخبارهم، وكان عليه كساء زاه مخطط، فلما أتاهم سخروا منه، وقالوا: جاء صاحب الأحلام لابس البجاء المخطط، ثم ائتمروا ما يصنعون به، وأوسعوه ضرباً وإهانة.. وتذكر الروايات أن خلافاً حدث بينهم فى السبيل التى يسلكونها للخلاص منه أيلقونه فى غيابة الجبّ أم يبيعوه لإحدى القوافل السيَّارة على الطريق؟ وانتهوا إلى فكرة طرحه فى الجبّ وأنفذوا ما أرادوا.

وكان المشهد الثالث ﴿وجاءُوا أباهُمْ عشاءً يبكُون (١٦) قالُوا يا أبانا إنَّا ذهبْنا نستبقُ وتركْنا يوسُف عند متاعنا فأكلهُ الذئْبُ وما أنتَ بمؤْمنٍ لَنا ولَوْ كُنَّا صادقين (١٧) وجاءُوا علَىٰ قَميصه بدمٍ كذبٍ﴾ [يوسف].

ونظر الأب المحزون إلى قميص ابنه، فلم يجد به أثراً لعدوان الذئب من تمزق ونحوه، فاستحال الشك فى نفسه إلى يقين بأنهم قد عرضوا له بالأذى، فقال: ﴿بَلْ سوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ (١٨)﴾ [يوسف].

ومرت إحدى القوافل بالطريق، فأرسلوا من رجالها من يأتى بالماء من البئر فأدلى دلوه فيه فتعلق به قلب يوسف، فصاح الرجل: يا بشرى: هذا غلام.. وهى بالطبع بشرى لتجار يأتيهم هذا الغلام الذى يبيعونه ويربحون ثمنه، دون جهد أو تعب. وفى هذا يقول القرآن الكريم: ﴿وجَاءَتْ سيَّارةٌ فأَرْسلُوا وارِدهُمْ فأَدْلَىٰ دلْوهُ قَالَ يا بُشْرَىٰ هَذَا غُلامٌ وأَسرُّوهُ بضَاعَةً﴾ [يوسف: ١٩].

وتقول التوراة: إن إخوة يوسف بعد ما ألقوه فى الجبّ، جلسوا إلى طعامهم، فمرت بهم قافلة من الإسماعيليين، وأخرى من المدنيين تقصد مصر، فسحبوا يوسف من الجبّ وباعوه للإسماعيليين الذى باعوه بدورهم إلى رئيس الشرطة فى مصر، أو على الدقة: إلى ملكها وصاحب الأمر فيها.

﴿وقال الذى اشتراه من مصر لامرأته أكرمى مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً﴾ [يوسف: ٢١].

وعاش يوسف فى بيت رئيس الشرطة المصرى ـ الذى قيل: إن اسمه «فوطيفار» عزيزاً كريماً لا أمر فى البيت بعد صاحبيه إلا له. وهكذا كانت بداية تمكين الله ليوسف ـ عليه السلام ـ فى الأرض، وتكريم الله، ﴿واللَّهُ غالِبٌ عَلىٰ أَمْرِهِ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يوسف].

وفى قصر الملك ـ الذى لم يستطع التحديد الدقيق لمكانه من أرض مصر بعد ـ بدأ مشهد كبير وخطير من المشاهد العنيفة فى قصة يوسف ـ عليه السلام ـ .

ذلك أن سيدته وسيدة القصر وزوجة الملك؛ قد شغفت بهذا الفتى الذى يزداد كل يوم جمالاً وشباباً وقوة وفتوة. وأخذت تتعرض له، وتحاول استثارته. ومن هنا بدأ فى أروقة القصر صراع قوى حاد بين الفتى يوسف الذى كانت حكمة آبائه ورعاية الله تنتشر من فوقه، ظلّ الطهر والوقاية من الإثم وإكرام سيده ـ زوجها ـ له وما أسبغ عليه من فضل يقتل فى نفسه بل وفى نفس أى كريم ـ كل أسباب الخيانة والغدر مهما تكن المؤثرات والمثيرات. هذا من جانب.

وفى الجانب الآخر، كان الصراع محموماً فى مشاعر تلك السيدة التى ملأ يوسف الجميل الفتى عليها كل أحاسيسها، فأصبحت لا تنام ولا تصحو إلا على الرغبة المجنونة العارمة

فى احتوائه والظفر به.

وانتصرت فى نفس يوسف كل أسباب الخير ورأى برهان ربه، فأعرض ونأى بجانبه وزاد هذا من جنون المرأة، فخرجت عن التلميح إلى التصريح والقول؛ بل جاوزت هذين إلى التدبير والفعل وانتهزت خلو القصر فى ساعة، فراودته عن نفسه وغلَّقت الأبواب، وقالت: هيت لك..

وقال يوسف: لا.. معاذ الله أن أخون سيدى الذى أحسن مثواى وأكرم وفادتى، إن هذا عدوان وظلم، ثم انفلت من بين يديها هارباً بشرفه وحكمته ودينه.

وحتى هذه اللحظة من المشهد الخطير المنهزم فى المرأة رغباتها المحمومة فأمسكت بقميصه تنازعه وينازعها حتى تمزَّق القميص مما يلى ظهره.

وفى هذه اللحظة، طرق الباب وكان الطارق هو رب القصر، زوج السيدة الهائمة، وابن عمها معه.

وازداد الأمر تعقيداً، وازدادت المرأة الهائمة جنوناً، وهى معرضة لخسران كل شىء، فهى لم تظفر من يوسف بما تريد، وشرفها فى هذه اللحظة الحرجة معرضاً لأخطر ما يهدده، كما أن منزلتها فى القصر ومكانتها فى البيت والملك، يوشكان على الانهيار.

وبكل ما يسببه الإحساس بالهزيمة من المرارة وعنف الرغبة

فى الانتقام، اندفعت المرأة تصيح فى وجه زوجها تقول: إنه أراد المنكر بى ولقد دافعته عن نفسى وبيدى مزقت ثوبه، ثم صرخت تستثير مشاعر زوجها وتحاول ما استطاعت أن تستر فعلتها: ﴿ما جزاءُ مَنْ أرادَ بأهلكَ سُوءًا إلاَّ أن يُسْجَنَ أوْ عذابٌ أليمٌ (٢٥)﴾ [يوسف].

وكان الاتهام الباطل، أقوى من أن يسكت عنه رجل طعن فى شرفه وطهارته، وطعن قبل هذا فيما يجب عليه من وفاء للرجل الذى آواه وأحسن مثواه.

كان الموقف أكبر من التزام الصمت، ولذا قال يوسف - عليه السلام -: ﴿هى راودتنى عن نفسى﴾ [يوسف: ٢٦].

وكان حوار عنيف شارك فيه بعض أهل المرأة نفسها، أنطقه الله بالحق، فقال فى حكمة وهدوء: ﴿إن كانَ قميصُهُ قُدَّ من قُبلٍ فصدقَتْ وهُوَ منَ الكاذبين (٢٦) وإن كانَ قميصُهُ قُدَّ من دُبُرٍ فكذبَتْ وهُوَ منَ الصادقين (٢٧) فلمَّا رأى قميصَهُ قُدَّ من دُبُرٍ قالَ إنَّهُ من كيدكُنَّ إنَّ كيدكُنَّ عظيمٌ (٢٨)﴾ [يوسف].

وانتهى الأمر داخل جدران القصر، وبين الأربعة الذين عاشوا فيه أو شهدوه. واتضحت براءة يوسف، وكان من الممكن أن يكون ختام القصة. ولكن الخبر كان قد شاع فى أرجاء المدينة، وتحدثت به النساء، وعزَّ على امرأة العزيز أن تكون وحدها التي ذاقت مشاعر الضعف أمام فتنة يوسف، وقاست الهزيمة أمام طهارته..

فاحتالت على النساء ودعتهم إلى طعام يستخدمن السكين فى تناوله ثم استدعت يوسف وفاجأهن على الطعام به، فإذا هن يؤخذن بجماله وفتوته ويشغلن به حتى ليقطعن أيديهن وهن لا يشعرن. وإذا هن يعذرن سيدتهن قائلات: ﴿ **مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (٣١)** ﴾ [ **يوسف** ].

وازداد الأمر تعقيداً، وازدادت المرأة إصراراً، وخاصة بعدما ظفرت من صاحباتها ونظيراتها بما يشبه الإقرار لما فعلت، فإذا تمضى فى تحديها ليوسف قائلة: ﴿ **فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ (٣٢)** ﴾ [ **يوسف** ].

وازدادت المحنة إطباقاً على يوسف، فآوى إلى ربه يدعوه ويستعين به، ويقول: ﴿ **رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٣٣)** ﴾

[ **يوسف** ].

ولم يستجب يوسف إلى ما أرادت زوجة العزيز، وشاع الأمر، وبات حديث الناس، مما جعله فى هذا الوضع مصدر تهديد خطير لسمعة القصر وصاحبته وصاحبه، بل مصدر خطر عليهم كأسرة حاكمة تشيع نقائصها بين الناس.

وكان الحل «السياسى» الذى عولج به الموقف هو إدخال يوسف فى السجن - بريئاً بالطبع دون جريرة - ، ولكن فى

سجنه أكثر من مصلحة للأسرة الحاكمة، وذلك أنه يستنقذ ما بقى من سمعتها تحت ستار أن السجن عقوبة لا تكون إلا بعد جريرة وذنب، ومن ثم يصبح السجين يوسف جانياً، وسيدة القصر مجنياً عليها فيتبدل الموقف ولو فى ظاهره بالنسبة إليها من هائمة تصرّ شهواتها، إلى شريفة متأبية يستحق السجن كل متجرىء عليها. هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى، إن إيداع يوسف فى السجن، سيكون من شأنه قبر الموضوع كله وإخفاؤه بين الجدران حتى يموت.

ودخل يوسف السجن مرحّباً مطمئن النفس؛ لأن السجن - كما قال فى دعوته - أحبّ إليه مما يبتغين منه . . وكانت عناية الله إلى جانبه، فهان السجن عليه، بل تقول التوراة: إن يوسف قد ارتفع شأنه فى السجن وأصبح فيه كشخص رئيسه وله الأمر والنهى فى كل النازلين فيه.

وأخذ يوسف فى سجنه يدعو إلى دينه، ويبشر بإلـه واحد أشارت إليه الآية الكريمة فى قوله: ﴿ **يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ** (٣٩) ﴾ [ **يوسف** ].

ولبث يوسف فى السجن بضع سنين حتى شاءت إرادة الله أن تطلق حريته، وأن يبدأ فى قصته مشهد عظيم جديد.

ذلك أن الملك قد رأى فى منامه سبع بقرات جميلات طالعات من النهر يرتعن فى روضة، ثم جاءت بعدهن سبع بقرات عجاف قبيحات المنظر تخرجن من النهر وتأكل البقرات

السمان. واستيقظ الملك، ولم يكتمل الحلم.

وبعدما أرّق الملك، عاد إلى نومه، فرأى سبع سنابل خضر تطلع فى ساق واحدة، وإذا سبع سنبلات يابسات تدفعها الريح على السنابل الخضر فتأتى عليها.

وانزعج الملك لمَا رأى، واستدعى كهّانه وسحرته، فلم يشفوا ما بنفسه، وقالوا: ﴿**قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ (٤٤)**﴾ [**يوسف**].

عندئذ تذكر رئيس السقاة ـ الذى كان قد أدخل السجن من قبل وعبّر له يوسف رؤياه وتنبأ له بالفرج وزوال الغمّة ـ تذكّر رئيس السقاة ذلك وعرض الأمر على الملك.. مقترحاً أن يأذن له فى لقاء يوسف والحصول منه على التعبير الصحيح للرؤيا.

وأذن الملك وعبّر يوسف الرؤيا قائلا: إنه سيأتى على مصر سبع سنوات مخصبات يتوفر فيها النماء والخصب وتجود فيها الأرض بالغلات والزروع، ثم تعقبها سبع سنوات عجاف تأتى على المخزون فى فترة الرخاء، ثم تنتهى ويعود الأمر إلى أعوام الرخاء والخصب.

وقال يوسف: إن على الملك أن يتدبّر للأمر ويخزن فى كل عام من أعوام الرخاء خُمْس غلته حتى إذا كانت أعوام الجدب، كانت عوناً له.

وأبلغ الملك بما قال يوسف، فاطمأن إليه وارتضاه، وقال:

﴿ائتوني به﴾ [يوسف: ٥٠، ٥٤].

وكان معنى هذا، هو الإفراج عن يوسف وإطلاق سراحه من السجن، ولكنه كان حريصاً على الإجابة على سؤال هام لا يزال ينتظر الإجابة عنه، وهو: لماذا أولا أُدخل السجن؟ وما معنى الإفراج عنه اليوم؟

إنه لا يريد أن يغادر السجن كمذنب صدر له من الحاكم عفو. وإنَّما يريد أن يخرج باعتباره بريئاً أُدخل ظلماً إلى غياهب السجن. ومن ثم كان ردّه هو ما صوّره القرآن الكريم في قوله: ﴿فلمَّا جاءه الرسولُ قال ارجعْ إلى ربِّك فاسألْه ما بال النسوة اللاتي قطَّعْن أيديهنَّ﴾ [يوسف: ٥٠]. وسألهن الملك: ﴿ما خطْبُكُنَّ إذْ راودتُّنَّ يوسفَ عن نفْسه قُلْنَ حاشَ للَّه ما علمْنا عليْه من سوءٍ﴾ [يوسف: ٥١].

وبراءة يوسف في القصة، ليست بحاجة إلى دليل جديد تضيفه النسوة التي روادته عن نفسه؛ لأن الله ـ سبحانه ـ أخبر عنه: ﴿إنَّه منْ عبادنا المُخْلصين (٢٤)﴾ [يوسف]. وشهد له من أهل امرأة العزيز شاهد بالبراءة ـ كما سبق ـ ولم تجد امرأة العزيز بداً من أن تقول بنفسها: ﴿الآنَ حصْحص الْحقُّ أنَا راودته عن نفْسه﴾ [يوسف].

وبعد ثبوت البراءة، بدأت في حياة يوسف ـ عليه السلام ـ مرحلة جديدة أصبح فيها أمين خزائن الأرض، والمسئول الأول عن كل شئون الرعية بعد الملك، وأصبحت للكلمة من فم يوسف

أصداء تتردد فى أرض مصر وفيما جاورها من ديار.

فقد اصطفاه الملك وجعله ـ كما تقول التوراة ـ على كل أرض مصر وخلع خاتمه من يده وجعله فى يد يوسف، وألبسه ثياب يوحى، ووضع طوق الذهب فى عنقه، وأركبه فى مركبته الثانية، ونادوا على الناس أمامه بالركوع له. وتزوج يوسف وهو ابن الثلاثين وبدأ يتجوّل فى كل أرض مصر يتفقد أحوالها ويتخذ ما يلزم لمقاومة السنوات العجاف التى أخبر عنها.

وهنا يبدأ فى حياة يوسف ـ عليه السلام ـ فصل مفعم بالمشاهد الإنسانية العميقة والمثيرة.

فقد مرّت سنوات وبدأت أعوام الجد بزحفها، ففتح يوسف للمصريين خزائنها. وحماهم من خطر المجاعة، وبدأت الوفود تنساب إلى مصر من كل الديار المجاورة، ومن بين هؤلاء الوافدين، كان إخوته أولاد يعقوب. إخوته الذين ألقوا به يوماً فى غيابة الجبّ، والذين ائتمروا به وأبغضوه وآذوه!

ها هم اليوم يقبلون ـ دون أن يشعروا ـ إلى بابه محتاجين مستعينين، مستضعفين يقبلون إليه وهو فى أوج مجده وسلطانه.

ولو كان يوسف ـ عليه السلام ـ مجرد واحد من البشر، لاستسلم لعواطفه، وربما اقتصّ أو انتقم. ولكنه نبى، وحسبه من معالجة المواقف أن يهدى ويرشد ويوضح الطريق إلى الخير. وهذا

ما حدث:

فقد طلب إليهم بعدما أعطاهم حاجتهم، أن يحضروا له أخاهم من أبيهم الذى هو شقيقه «بنيامين».

فلما جاءه أخوه، أعمل حيلته ليستبقيه إلى جواره.

وعاد باقى الإخوة إلى أبيهم الذى كان قد ساء ظنه، وحسب ذلك منهم تكراراً لما صنعوه من قبل مع يوسف، خاصة وأن الابن الغائب هو الأخ الشقيق ليوسف. ولذا لم يقبل يعقوب من أولاده ما قالوه، وأبى عليهم إلا أن يعودوا إلى ذلك الملك لينقذوا أخاهم من سجنه.. إن لم يكن قد أصابه ضر.

وعاد الإخوة جميعاً إلى يوسف.. وهنا بدأت المكاشفة:

﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ (٨٨)﴾ [يوسف].

قال: ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ (٨٩)﴾ [يوسف].

عندئذ أدرك الإخوة، أن الذى يخاطبونه هو يوسف، فقالوا: ﴿أَئِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٩٠) قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ (٩١) قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٩٢) اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا

فألقوه على وجه أبى يأت بصيرا وأتونى بأهلكم أجمعين (٩٣) ﴾ [ يوسف ].

وجاءوا بأهلهم أجمعين: أبوه وزوجه التى هى خالة يوسف، والإخوة جميعاً... قدموا عليه وسجدوا..

وتحققت النبوءة التى كان فى صباه قد قصَّها على أبيه فأثارت حقد إخوته وسخريتهم.. فإذا هى اليوم واقع وحقيقة. وقال يوسف لأبيه: ﴿ يا أبت هذا تأويل رءياى من قبل قد جعلها ربى حقًا ﴾ [ يوسف: ١٠٠ ].

وحين تبلغ القصة مثل هذه الخاتمة الجليلة التى تُوِّجَت بانتصار الخير والصبر والطهارة وإشراقة النفس، يخلو يوسف إلى نفسه ساعة يستعرض فيها قصة الماضى الطويل الحافل بالألم والمحنة. والاتهام والتبرئة، والإخلاص والخيانة، والهبوط والرفعة.. يستعرض فى لحظات كل هذا الماضى، ثم يقف على حاضره العظيم المطمئن الذى اجتمع فيه شمل الأحباب. وزالت منه مدامع الألم. فيشعر بأن عناية الله قد أحاطته فى كل ما مرَّ به، ويتجه إلى ربه شاكراً أنعمه مستعيناً فى كل أحواله سائلاً إياه أن يسبغ عليه رعايته، فيقول: ﴿ رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت ولىى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلماً وألحقنى بالصالحين (١٠١) ﴾ [ يوسف ].

الآيات الواردة فى ذكر يوسف ـ عليه السلام ـ:

قوله تعالى: ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلاً هدينا ونوحاً هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزى المحسنين (٨٤)﴾ [الأنعام].

وقوله تعالى: ﴿إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إنى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين (٤)﴾ [يوسف].

وقوله تعالى: ﴿لقد كان فى يوسف وإخوته آيات للسائلين (٧)﴾ [يوسف].

وقوله تعالى: ﴿اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين (٩)﴾ [يوسف].

وقوله تعالى: ﴿قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه فى غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين (١٠)﴾ [يوسف].

وقوله تعالى: ﴿قالوا يا أبانا ما لك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون (١١)﴾ [يوسف].

وقوله تعالى: ﴿قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين (١٧)﴾ [يوسف].

وقوله تعالى: ﴿يوسف أعرض عن هذا واستغفرى لذنبك

إِنَّكَ كُنتَ من الْخاطئين (٢٩) ﴾ [ يوسف ].

وقوله تعالى: ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ (٤٦) ﴾ [ يوسف ].

وقوله تعالى: ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٥١) ﴾

[ يوسف ].

وقوله تعالى: ﴿ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ (٥٨) ﴾ [ يوسف ].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٦٩) ﴾ [ يوسف ].

وقوله تعالى: ﴿ قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ (٧٧) ﴾ [ يوسف ].

وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ

خَيْرُ الْحاكمين (٨٠) ﴾ [ يوسف ] .

وقوله تعالى: ﴿ وتولَّى عنهُمْ وقَالَ يا أسفَىٰ علَىٰ يُوسُف وابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ (٨٤) ﴾ [ يوسف ] .

وقوله تعالى: ﴿ قَالُوا تَاللَّه تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ (٨٥) ﴾ [ يوسف ] .

وقوله تعالى: ﴿ يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ (٨٧) ﴾ [ يوسف ] .

وقوله تعالى: ﴿ قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٩٠) ﴾ [ يوسف ] .

وقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ (٩٤) ﴾ [ يوسف ] .

وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ (٩٩) ﴾ [ يوسف ] .

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ (٣٤) ﴾ [ غافر ] .

* * *

# يونس[1]

يونس - ﷺ - من المرسلين، ويُعرف عند أهل الكتاب باسم يونان بن أمتاى، أرسله ربه إلى قوم ليسوا من عشيرته لمداينهم.

ويقول بعض المفسرين: إنهم أهل نينوى، ولما يئس من هدايتهم وظنَّ أنَّ الله لا يلزمه بالبقاء معهم والصبر على إيذائهم وعنادهم، تركهم هرباً، ولم ينتظر أمر الله بمفارقتهم.

ثم إنه آوى إلى سفينة مشحونة بالمسافرين وركب معهم، ولكن السفينة اضطربت وكادت أن تغرق حتى اضطر ركابها أن يقترعوا على من يُلْقَى فى البحر منهم. فخرجت القرعة على يونس وألقوه فى اليم، فالتقطه حوت عظيم، وشاء الله أن يمكث يونس فى بطنه يُسبِّح ويستغفر إلى أن نبذه الحوت بالعراء، وهو سقيم، فأنبت الله عليه شجرة من يقطين، فكبرت حتى ظللته، فلما ماتت وذوت حزن عليها يونس وهى

---

(١) تفسير القرطبى (٨/ ٣٥٣)، ط. دار الحديث - القاهرة، ومعجم الألفاظ والأعلام القرآنية، لمحمد إسماعيل إبراهيم، ص ٥٩٨، والموسوعة العربية الميسرة (٢/ ١٩٩٧)، ط. دار إحياء التراث العربى، محمد شفيق غربال، والإتقان فى علوم القرآن، للسيوطى (٤/ ٦٠)، وقصص الأنبياء، لابن كثير، تحقيق الرشيدى، ص ٢٣٣، ط. دار العقيدة.

لا قيمة لها. وقال له ربه:

لقد أشفقت على يقطينة، أفلا أسفقت على أهل قرية فيها أكثر من مائة ألف لإنقاذهم من الضلال، ثم أرسله إليهم فآمنوا به.

وسيدنا يونس - ﷺ - قيل: إنه كان فى زمن ملوك الطوائف من الفرس، وروى ابن أبى حاتم، عن أبى مالك، أنه لبث فى بطن الحوت أربعين يوماً، وعن جعفر الصادق: سبعة أيام، وعن قتادة: ثلاثة.

وفى يونس ست لغات: تثليث النون مع الواو والهمزة، والقراءة المشهورة: بضم النون مع الياء. قال أبو حيان: وقرأ طلحة بن مصرِّف بكسر يونس، أراد أن يجعله عربيًا، مشتق من «أنس». وهذا شاذ.

واتفق المفسرون على أن اسمه: «يونس بن متى»، ومتى نُسِبَ أبيه لا أمه فى كما تفسير عبد الرزاق.

وورد ذكر نبى الله يونس فى القرآن الكريم فى (النساء: ١٦٢، الأنعام: ٨٦، ويونس: ٩٨، والصافات: ١٣٩).

كما ذكره القرآن الكريم بالصفة فى قوله تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

وقوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ

الْحُوتِ﴾ [القلم: ٤٨].

وأهل الكتاب يسمونه «يونان بن أمتاى»، ويتضمن سيرته كتاب من كتبهم يحتوى أربعة إصحاحات، جاء فيها:

«إن الله أمر يونان - يونس - بالذهاب إلى أهل «نينوى»؛ لأن شرهم قد كثر، فقام «يونان» ليهرب من وجه الرب ونزل يافا، فوجد سفينة متجهة إلى البلد الذى يقصده، فركب فيها، فبعث الله ريحاً شديدة اضطربت لها السفينة وكادت تغرق، فاتفق الأمر على تخفيف حمولتها، واقترعوا على من يلقونه فى البحر فخرج السهم الذى يخص «يونان» - يونس - ، فألقوه فى البحر فالتقمه الحوت وسكن هيجان البحر.

وظل «يونان» - يونس - يدعو إلهه من جوف الحوت ثلاثة أيام بلياليها حتى لفظه الحوت بالساحل. ثم تمضى القصة فى سرد تفاصيل أخرى لم ترد فى القرآن ولا تثبت أمام النقد.

## الآيات الواردة فى ذكر يونس - عليه السلام -:

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾ [النساء].

وقوله تعالى: ﴿وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين (٨٦)﴾ [الأنعام].

وقوله تعالى: ﴿فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين (٩٨)﴾ [يونس].

وقوله: ﴿وإن يونس لمن المرسلين (١٣٩)﴾ [الصافات].

* * *